الجزء ق

عَرّافَةُ الصَّحْراءِ



تأليف: مصطفى الشيمي

رسومات: مايا عبّود



لَم يُصَدِّقْ أَحَدٌ بَحْرَ حينَ زَعَمَتْ أَنَّها عَرّافَةٌ. اعتَقَدوا أَنَّها فَقَط تُريدُ الْجُلوسَ عَلى عَرْشِ الْقَبيلَةِ المَصْنوعِ مِن آلافِ القَواقِعِ. أَمرٌ لَن يَحدُثَ. إنَّها في الثّالِثَةَ عَشْرَةَ، قَصيرَةُ القامَةِ، وَلَدَيْها شَعرٌ ناعِمٌ وَشَديدُ السَّوادِ... وَالعَرّافاتُ مُسِنّاتٌ بِالضَّرورَةِ.

عَرّافاتُ القَبيلَةِ بِوُجوهٍ مُجَعَّدَةٍ وَخُصُلاتِ شَعْرٍ أَبيَض، يَقِفْنَ أَمامَ عَرْشِ القَواقِعِ في صَفٍّ طَويلٍ، وَيَنتَظِرْنَ العَرّافَةَ الأُمَّ المُلَقَّبَةَ بِعَرّافَةِ الصَّحْراءِ. كُلُّ عَرّافَةٍ تَحْلُمُ بِالوُصولِ إلى مِثلِ مَنزِلَتِها، إذْ تَستَطيعُ بِإشارَةٍ مِن يَدِها أَن تَأمُرَ رِجالَ القَبيلَةِ فَيُطيعوها، وَتُحَدِّدَ لَهُمُ الحُروبَ الَّتي سَيَخوضونَها. وَتُقَسِّمَ الغَنائِمَ أَيضًا الَّتي يَفوزونَ بِها بَعدَ الانتِصارِ عَلى القَبائِلِ الأُخْرى، وَفقًا لِما تَراهُ. لَم تَنهَزِمِ القَبيلَةُ أَبَدًا بِفَضْلِ نُبوءاتِ العَرّافَةِ الأُمِّ الَّتي لَم تَخِبْ مَرَّةً، عَلى نَقيضِ بَقيَّةِ العَرّافاتِ الأُخْرَياتِ.

يَتَحَدَّدُ مَنصِبُ العَرّافَةِ الأُمِّ بَعدَ عَدِّ النُّبوءاتِ النّاجِحَةِ لِكُلِّ عَرّافَةٍ. وَأُمُّ العَرّافاتِ لَم تُخطِئْ مَرَّةً، وَلَم تَخْسَرْ قَبيلَتُها حَرْبًا بَعدَ الإنْصاتِ لَها؛ لِذا لَم تَفقِدْ عَرشَها مُنذُ عِشرينَ عامًا.

أَمرٌ غَريبٌ أَن تَأتِيَ بَحْرٌ لِتَزعُمَ أَنَّها عَرّافَةُ الصَّحْراءِ، وَتطمَعَ في العَرْشِ!

العَرْشُ... عَرشُ القَواقِعِ. مُتَوارَثٌ مِنَ الجُدودِ، مُنذُ آلافِ السِّنينَ، حينَ كانَتْ هذِهِ الأَرضُ بَحْرًا، قَبلَ أَن تَتحَوَّلَ الدُّنيا بِأَكمَلِها إِلى صَحْراءَ. كَيفَ حَدَثَ ذلِكَ؟! وَلماذا؟ أَسئِلَةٌ لا يَعرِفُها أَحَدٌ، حَتّى العَرّافاتُ غَيرُ قادِراتٍ عَلى التَّنَبُّؤِ بِها، أَعيُنُهُنَّ تَنظُرُ إِلى الغَدِ فَقَط، أَمّا الماضي فَلُغزُهُ مُرهِقٌ.

العَرشُ... عَرشُ القَواقِعِ، يَجعَلُ النّاسَ يَتَذَكَّرونَ الماضِيَ في حُزْنٍ وَأَلَمٍ. يُقالُ إِنَّ الصَّحْراءَ فَتَحَتْ بَطنَها ذاتَ يَومٍ، وَانفَجَرَتْ بِالقَواقِعِ وَالأَسماكِ الصَّغيرَةِ. أَمرٌ مَعقولٌ وَمَفهومٌ، إِلى يَومِنا هذا، تَمُرُّ الحيتانُ مِن أَسفَلِ الرَّمْلِ، وَيَكتَشِفُ النّاسُ وُجودَها حينَ يَخرُجُ الهَواءُ مِن فَتحَةِ النَّفْثِ فَوقَ ظُهورِها، وَقَد يَرتَفِعُ لِسَطحِ الرَّمْلِ لِيَتَنَفَّسَ أَحيانًا. غَيرَ أَنَّ النّاسَ لا يَجرُؤونَ عَلى الاقتِرابِ مِنهُ، يَخشَوْنَ السُّقوطَ مَعَ أَمواجِ الصَّحْراءِ. ما يَزالُ غَريبًا أَن تَمتَزِجَ روحُ الصَّحراءِ بِروحِ البَحرِ، لا يَأْمَنونَ مَتى تَقِفُ الأَرضُ صامِدَةً أَسفَلَ أَقدامِهِم، وَمَتى تَغدِرُ رِمالُها وَتَبدو مِثلَ الماءِ!

هذِهِ حالُ قَبيلَةِ القَواقِعِ، أَمّا القَبائِلُ الأُخرى المَوجودَةُ في بَقيَّةِ الصَّحراءِ، فَلَدَيهِم عُروشٌ مُختَلِفَةٌ مِثلُ عَرشِ الثَّلجِ أَو عَرشِ الطّينِ وَتُفاجِئُهُمُ الصَّحراءُ بِأَشياءَ أُخرى، مِثلِ بَطاريقَ قادِرَةٍ على الطَّيَرانِ أَوِ التَّنانينِ. كُلُّ مَخلوقاتِ الطَّبيعَةِ ذاتِ العَناصِرِ الأَربَعَةِ: الماءِ وَالهَواءِ وَالنّارِ وَالتُّرابِ... صارَتْ مَوجودَةً في الصَّحراءِ. مَخلوقاتٌ خُرافيَّةٌ أَو حَقيقيَّةٌ لكِنَّها في هذا الواقِعِ الغَريبِ تُصبِحُ غَريبَةً أَيضًا. الحيتانُ الَّتي عَرَفَها البَشَرُ ذاتَ يَومٍ، لَيسَتْ نَفْسَها الحيتانَ المَوجودَةَ اليَومَ! إِنَّها حيتانٌ تَسْبَحُ أَسفَلَ الرَّمْلِ! البَحرُ نَفْسُهُ الَّذي نَعرِفُهُ تَحَوَّلَ إِلى رَملٍ. انتَهى العالَمُ كَما عَرَفناهُ تَمامًا.

في هذا العالَمِ لا أَحَدَ يَسأَلُ: كَيفَ تَطيرُ البَطاريقُ! أَو كَيفَ توجَدُ تَنانينُ؟ فَلا وَقتَ لِمِثلِ هذِهِ الأَسئِلَةِ. الأَرضُ حَربٌ طَويلَةٌ مُمتَدَّةٌ بَينَ البَشَرِ. قَبائِلُ تَتَقاتَلُ فيما بَينَها لِلفَوزِ بِغَنائِمَ عادِيَّةٍ جِدًّا، وَرُبَّما تافِهَةٍ... قَوقَعَةٍ مَثَلًا!

قَوقَعَةٍ واحِدَةٍ لا فائِدَةَ لَـها، لكِنَّها غَيرُ مَوجودَةٍ في البُقعَةِ الأُخرى مِنَ الـحَربِ. وَبالـمِثلِ، قَبيلَةُ القَواقِعِ تُـحاوِلُ الفَوزَ بِأَصيصِ زَرعٍ أَو كُرَةِ ثَلجٍ، أَو أَيِّ شَيءٍ آخَرَ.

كُلُّ قَبيلَةٍ تَستَمِعُ لِعَرّافاتِها قَبلَ الـحُروبِ، وَتُنصِتُ أَكثَرَ إِلى العَرّافَةِ الأُمِّ. إِنَّها تُـحَدِّدُ نَتيجَةَ الـحُروبِ قَبلَ بِدايَتِها، وَتَعرِفُ ما سَيَحدُثُ. تَغرِفُ كُلُّ عَرّافَةٍ الرِّمالَ في يَدِها، ثُمَّ تُقَرِّبُها مِن فَمِها وَتَنفُخُ الـهَواءَ... وَفي الغُبارِ تَرى الصُّوَرَ وَتُقَدِّمُ نُبوءَتَها. لا تَـمتَلِكُ امرَأَةٌ هـذِهِ الـهِبَةَ إِلّا في سِنٍّ مُعَيَّنَةٍ، عِندَما تَظهَرُ أَوَّلُ شَعرَةٍ بَيضاءَ في شَعْرِها، لكِنَّ بَحْرَ كانَتْ تَزعُمُ أَنَّها تَرى، في سِنِّها الصَّغيرِ، دونَ خُصْلَةٍ بَيضاءَ في شَعرِها، وَدونَ أَن تَضَعَ الرِّمالَ في كَفِّ يَدِها، وَتَنفُخَ فيهِ بِفَمِها الصَّغيرِ، لِتَقرَأَ غُبارَهُ.

لَم يَستَمِعْ أَحَدٌ إِلى بَحْرَ إِلّا أَوْسٌ، حَفيدُ العَرّافَةِ الأُمِّ. رَآها تَقِفُ عَلى أَطرافِ القَبيلَةِ، وَتَنظُرُ إِلى نِهايَةِ الصَّحْراءِ. كانَ صَديقًا مُقَرَّبًا لَـها؛ لِـذا شَعَرَتْ بِوُجودِهِ خَلْفَها دونَ أَن تَلتَفِتَ، وَلَم تَلتَفِتْ أَيضًا عِندَما وَقَفَ جِوارَها، وَظَلَّتْ تَنظُرُ إِلى الـمَجهولِ، قائِلَةً:

- الدَّلافينُ سَتَقفِزُ الآنَ!

سَأَلَـها:

- ماذا؟

لَـم تُغمِضْ عَينَيْها رَغمَ الرِّياحِ الَّتي عَصَفَتْ فَجأَةً، مَعَ الدَّلافينِ الصَّغيرَةِ الَّتي كَشَفَتْ مَعَ قَفْزَتِها عَن وُجودِ بَحْرٍ لِلرِّمالِ هُنا، ثُمَّ قالَتْ:

- تَزعُمُ العَرّافاتُ أَنَّهُنَّ يَرَيْنَ الغَدَ...

قاطَعَها أَوسٌ قائِلًا:

- وَأَنا لا أُصَدِّقُ ذلِكَ.

قالَـها عَـن مَعرِفَـةٍ. لا أَحَـدَ يَـرى الغَيْـبَ، أَو يَستَطيعُ التَّنَبُّؤَ بِما سَيَحدُثُ جَدَّتُـهُ أُمُّ العَرّافاتِ دَجّالَـةٌ لَدَيْها مِئاتُ الـجَواسيسِ. بِواسِطَتِهِم تَستَطيعُ تَـحديدَ أَيِّ وَقتٍ مُناسِبٍ لِشَنِّ الـحَربِ، وَأَيِّ خُطَّةٍ تَصلُحُ لِـهَزيمَةِ هـذِهِ القَبيلَةِ أَو تِلكَ.

أَمامَ قَبيلَتِها تُـمارِسُ لُعبَتَهُـمُ الـمُفَضَّلَةَ، تُـمسِكُ بِبَعضِ الغُبـارِ وَتَنفُـخُ فيـهِ وَتُــخبِرُهُم بِخُطَّـةِ النَّصْـرِ. لَـم يَتَوَقَّـعْ أَنَّ بَحْـرَ سَـتُتابِعُ قائِلَـةً كَأَنَّــهُ لَــم يُقاطِعْها:

- أَنا الوَحيدَةُ الَّتي تَرى الأَمسَ!...

الأَمـسَ البَعيـدَ جِدًّا، عِندَمـا كانَـتِ الأَرضُ طَبيعيَّـةً، قَبـلَ أَن تَظهَـرَ كُلُّ هـذِهِ الــمَخلوقاتِ الغَريبَـةِ، وَتَـأكُلَ الصَّحْـراءُ البَحْـرَ وَالطّيـنَ وَالثَّلْـجَ. لا تُراوِدُهـا الـرُّؤى، وَلا تَسـتَطيعُ أَن تَتَجـاوَزَ سَـتائِرَ الغَيـبِ، لكِنَّهـا مِثـلُ جَدَّتِهـا الأولـى زَرْقـاءِ اليَمامَـةِ، لَدَيْهـا بَصَـرٌ حـادٌّ. هـذا البَصَـرُ يُسـاعِدُها لِتَـرى الأَشـياءَ مِـن مَسـافَةِ أَلـفِ ميـلٍ، أَو مِـن أَسـفَلِ أَكـوامِ الرِّمـالِ. لِذلِـكَ، لَيـسَ غَريبًـا أَن تَتَوَقَّـعَ أَن تَقفِـزَ الدَّلافيـنُ فـي تِلـكَ اللَّحظَـةِ، إِذْ رَأَتْهـا تَقتَـرِبُ فـي سِـرْبِها وَتَستَعِدُّ لِلَّهْوِ. وَهذا هُوَ ما أَخبَرَتْ بِهِ صَديقَها أَوْسًا.

لَـم يُصَدِّقْهـا أَوْسٌ إِلّا بِالدَّليـلِ القاطِـعِ. أَخبَرَتْـهُ أَنَّ القَبيلَـةَ اللَّيلَـةَ مُعَرَّضَـةٌ لِلْغَزْوِ. في هذِهِ الـمَرَّةِ لَيسَتْ بِواسِطَةِ القَبائِلِ البَشَريَّةِ الأُخرى

بَـل بِواسِـطَةِ جَيـشٍ مِـنَ العَماليـقِ. سَأَلَـها: ماذا تَقصِـدُ بِالعَماليـقِ؟ فَقالَـتْ إِنَّهُم فَصيلَـةٌ مِـنَ الـمَخلوقاتِ العَتيقَـةِ، عاشَـتْ فـي الصَّحْـراءِ مُنـذُ آلافِ السِّـنينَ. استَطاعَتْ أَن تُرَوِّضَ طُيورَ الرُّخِّ، والتَّنانينَ. لَـم يَسـأَلْـها لِـماذا ظَهَرَتِ اليَومَ تِلكَ الـمَخلوقاتُ، فَسُؤالٌ مِثـلُ ذلِـكَ سـاذِجٌ. الأَشياءُ فـي هـذا العالَـمِ غَيـرُ مَنطِقيَّـةٍ وَالبَحثُ عَنِ الـمَنطِقِ هُنا مَضْيَعَةٌ لِلوَقتِ. السُّؤالُ الأَفضَلُ هُوَ:

- ماذاسَنَفعَلُ؟

الْتَفَتَـتْ دونَ كَلِمَـةٍ، وَسـارَتْ إِلـى مُنتَصَـفِ القَبيلَـةِ، فـي دائِـرَةِ العَرّافـاتِ الـمُحَدَّدَةِ بِالقَواقِعِ، حَيـثُ تَذهَـبُ العَرّافاتُ هُناكَ لِتُعلِـنَّ عَن نُبوءاتِهِـنَّ. وَقَفَتْ فـي مُنتَصَفِها، وَانحَنَـتْ لِلأَسـفَلِ لِتَحمِـلَ بَعضَ ذَرّاتِ الرَّمْلِ. نَفَخَـتْ فيها لِيَطيرَ الغُبـارُ أَمـامَ عَينَيْها. أَرادَ أَوْسٌ أَنْ يَمنَعَهـا عَـن ذلِـكَ، فَالقَبيلَـةُ لَنْ تَسـمَحَ بِادِّعائِها لِلعِرافَـةِ، لكِـنَّ الوَقـتَ قَـد فـاتَ. اجتَمَـعَ الـجَميعُ مِـن حَولِـها وَراقَبوهـا، بَينَمـا تَقولُ:

- في الغُبارِ، أَرى مِئاتِ العَمالِقَةِ قادِمينَ إِلَينا هذِهِ اللَّيلَةَ.



أَجسـادُهُم مِـن رَمْـلٍ يَسـيلُ، بَينَمـا يَسـيرونَ. لا تَسـتَطيعُ الرِّمـاحُ إصابَـةَ أَجسادِهِم، إذْ تَدخُلُ مِن جِهَةٍ وَتَـخرُجُ مِن جِهَةٍ أُخرى. العَمالِقَـةُ قادِمـونَ لِتَدْميرِ العالَـمِ، وَنَحنُ أَوَّلُ القَبائِلِ الـمُنهَزِمَةِ!

ما حَـدَثَ كانَ مُتَوَقَّعًا. انتزَعَها الرِّجـالُ مِـن دائِـرَةِ القَواقِـعِ وَنَهَرَهـا الـجَميعُ. ظَلَّـتْ تُؤَكِّـدُ لَـهُم أَنَّها قـادِرَةٌ عَلـى إبْصارِ نِهايَـةِ الصَّحْراءِ، وَنِهايَـةِ العالَـمِ أَيضًـا، لكِـن لَـم يُصَدِّقْها أَحَـدٌ. ابتَعَـدَتْ بِخَيبَـةِ أَمَـلٍ عَـنِ الـجَميعِ، وَلَـم تَعـرِفْ مـاذا تَفعَـلُ! العَماليـقُ قادِمـونَ، وَالقَبيلَـةُ لا تُصَدِّقُهـا لِأَنَّهـا صَغيـرَةٌ. القَبيلَـةُ تُؤمِـنُ فَقَـط بِالـمُسِنّاتِ. السُّـلطَةُ لِلشّيبِ وَالشَّيْباواتِ فَقَـط. قانـونٌ واضِـحٌ... قانونُهـا غَيـرُ قابِـلٍ للتَّغَيُّـرِ. الصِّغـارُ يَظَلّـونَ صِغـارًا. السِّـنُّ هُـوَ الـمِعْيارُ الوَحيدُ هُنـا... لَـو أَنَّهـا تَـمتَلِكُ فَقَـط خُصْلَـةً بَيضـاءَ واحِـدَةً لَرُبَّمـا صَدَّقَهـا شَـخصٌ مـا. رُبَّمـا أَرسَـلوا البَصّاصيـنَ لِلتَّأَكُّـدِ مِـن صِـدقِ نُبوءَتِهـا لكِنَّهُم لَن يَفعَلوا ذلِكَ. إلى جِوارِها وَقَفَ أَوسٌ قائِلًا:

- هَل تَرَيْنَ ذلِكَ بِالفِعلِ؟

أَخبَرَتْـهُ أَنْ نَعَـم، وَأَرادَتْ أَن تُـخبِرَهُ أَكثَـرَ مِـن ذلِـكَ. إنَّهـا تَـرى الأَمـسَ... تَعـرِفُ جَيِّـدًا كَيـفَ صـارَ العالَـمُ عَلـى هـذِهِ الصّـورَةِ، لكِنَّهـا صَمَتَـتْ. اعتَقَدَتْ أَنَّـهُ لَـن يُصَدِّقَهـا، خاصَّـةً عِندَمـا طـالَ صَمْتُـهُ لِبَعـضِ الوَقـتِ، لكِنَّـهُ عَلى نَقيضِ ذلِكَ أَخبَرَها، قائِلًا:

- إذَنْ، عَلَينا أَن نَستَعِدَّ لِلقِتالِ!

كانَ لا بُـدَّ مِـن خُطَّـةٍ بِالفِعـلِ، خاصَّـةً أَنَّ العَرّافَـةَ الأُمَّ أَعلَنَـتْ حَربَها الـجَديدَةَ عَلـى القَبائِـلِ الـمُجاوِرَةِ، وَسَـيَغيبُ الرِّجـالُ عَـنِ القَبيلَـةِ، أَمـرٌ يَعْنـي أَنَّ الـجَميعَ سَـيَكونونَ لُقْمَـةً هانِئَـةً فـي مَعِـدَةِ العَمالِقَةِ. في الـحَقيقَةِ، وَإنْ لَـم يَتَغَيَّـبِ الرِّجـالُ عَـنِ القَبيلَـةِ؛ فَلَـن يَسـتَطيعَ أَحَـدٌ الوُقـوفَ ضِـدَّ جَيـشٍ مِـنَ العَمالِقَـةِ وَالتَّنانيـنِ وَطُيـورِ الـرُّخِّ، وَبَقيَّـةِ الـمَخلوقاتِ الغَريبَـةِ فـي هـذا العالَـمِ. هذا ما قالَتْهُ بَحْرُ.

سَأَلَـها أَوْسٌ:

- ماذا تَقصِدينَ؟

أَجابَتْ بِشُرودٍ:

- عَلَيناالـهَرَبُ!

الـهَرَبُ! القَبيلَـةُ لـم تُؤمِـنْ بِنُبوءَتِهـا، وَلَن يَتْبَعَهـا أَحَدٌ. نَظَـرَ إلَيها أَوسٌ مُندَهِشًـا! لَـم يَفهَمْ ماذا تَقصِدُ لِوَهلَةٍ، ثُمَّ أَدرَكَ قائِلًا:

- هَل تَـخونينَ القَبيلَةَ؟

الـهَرَبُ فـي نَظَـرِ أَوْسٍ خيانَـةٌ، أَمّـا فـي نَظَـرِ بَحْـرَ، فَهُـوَ قـارِبُ النَّجـاةِ. مُعتَقَداتُ القَبيلَـةِ ثابِتَـةٌ، العِرافَـةُ لِلمُسِـنّينَ فَقَـط. لا أَحَـدَ يُنصِـتُ لِلأَطفـالِ، لا أَحَـدَ يُبصِـرُ العالَـمَ مِـنَ الزّاوِيَـةِ الَّتـي يُبصِـرونَ مِنهـا. القَوانيـنُ عَتيقَـةٌ... القَوانيـنُ غَيـرُ مَفهومَـةٍ، وَعَلـى الـجَميعِ أَن يَنقـادَ إلَيها. لَن تَسـتَطيعَ بَحْـرُ أَن تُـجْبِرَهُم عَلى أَن يَـرَوُا العالَـمَ مِـن عَينَيْهـا، لا تَرغَـبُ إلّا بِـأَن تَظَـلَّ عَيناها مِلْـكَ يَمينِها، وَأَلّا تُـجْبَرَ عَلـى الإيمـانِ بِـخِلافِ مـا تَـراهُ. القِتـالُ مَـعَ القَبائِـلِ الأُخْـرى لِلفَـوزِ بِأَشـياءَ تافِهَـةٍ أَمرٌ مَـجنونٌ في ظِلِّ وُجودِ العَمالِقَةِ في أَطرافِ الصَّحراءِ.

مَعَ ذلِكَ، أَشفَقَتْ عَلى أَوسٍ مِن قَلبِهِ الطَّيِّبِ، قائِلَةً:

- هُروبُنا وَسيلَتُنا الوَحيدَةُ لِإنقاذِ القَبيلَةِ!

لَـم يَفهَـمْ مَقْصِدَهـا، لكِنَّـهُ اتَّبَعَهـا مَـعَ ذلِـكَ. سـارَ خَلفَهـا فـي الصَّحـراءِ الـمُمتَدَّةِ، دونَ زادٍ، وَدونَ أَن يَمْتَطِيا أَيَّ حَيَـوانٍ. بِالنَّظَـرِ إلـى الـمَشهَدِ، نَبدو أَمامَ طِفلَيـنِ مَـجنونَينِ في الطَّريـقِ إلـى الـهَلاكِ. لا يَتَعَلَّـقُ الأَمـرُ بِالصَّحـراءِ فَقَـط، أَوِ الـجوعِ أَوِ العَطَـشِ، أَوِ الوُحـوشِ الـمُختَلِفَةِ، بَـل يَتَعَلَّـقُ الـخَطَرُ بِالقَبائِـلِ الأُخـرى أَيضًـا. إذا وَجَـدَتْ قَبيلَـةٌ طِفلَيـنِ مِـن قَبيلَـةِ القَواقِـعِ فَسَـتَخْطِفُهُما حَتمًـا، خاصَّـةً إذا كانَ فيهِمـا حَفيـدُ العَرّافَـةِ الأُمِّ. العالَـمُ لا يَرحَـمُ الأَطفـالَ هُنـا، لَيـسَ فَقَـط يَـخطِفُهُم لِلضَّغـطِ عَلـى قَبيلَـةٍ أُخـرى، بَـل يُـجبِرُهُم عَلـى أَن يَنظُـروا لِلعالَـمِ مِـن زاوِيَـةِ نَظَرِهِـم ذاتِهـا. طَريقَـةُ النَّجـاةِ الوَحيدَةُ هِيَ القِتالُ. عَلى البَشَرِ أَن يَتَقاتَلوا لِلأَبَدِ.

كانَ مِـنَ الـمَفهومِ إذَن أَن يَنطِقَ أَوسٌ بِتِلـكَ الـجُملَةِ؛ عَلَينـا إذَن أَن نَسـتَعِدَّ لِلقِتـالِ! فَلَقَـد أَجبَـروهُ فـي القَبيلَـةِ عَلـى النَّظَـرِ لِلعالَـمِ مِـن هـذِهِ الزّاوِيَـةِ عَلَّموهُ أَن يَسيرَ مَعَهُم في هذا الطَّريقِ الَّذي بَدَأَ مُنذُ آلافِ السِّنينَ. أَقنَعوهُ أَنَّ القِتالَ هُوَ الطَّريقَةُ الوَحيدَةُ لِلنَّجاةِ.

سَأَلَـها أَوْسٌ:

- هَل تَرَيْنَ الغَدَ فِعلًا؟

تَشَـكَّكَ مِـن نُبوءَتِها عِندَمـا عَطِـشَ وَجـاعَ، وَعِندَمـا أَدْمـى السَّـيرُ قَدَمَيْـهِ مِـنَ السَّـيرِ. ذَرّاتُ الرَّمْـلِ مُلتَهِبَـةٌ، وَالشَّـمسُ لا تَرحَـمُ أَحَـدًا. ابتَسَـمَتْ بَحْـرُ وَلَـم تَـرُدَّ عَلَيـهِ. لَـم تُـرِدْ أَن تُـخبِرَهُ الـحَقيقَةَ الآنَ. إنَّهـا لا تَـرى الغَـدَ، أَرادَتْ أَن تَـرْوِيَ عَطَشَـهُ أَوَّلًا، وَأَشارَتْ بِإصبَعِهـا لِلأَمـامِ. فـي البِدايَـةِ لَـم يَـرَ شَـيئًا، ثُـمَّ رُوَيدًا رُوَيدًا بَدَأَ الـمَشهَدُ يَتَجَلّى: بُحَيرَةُ ماءٍ صَغيرَةٌ وُلِدَتْ فَجأَةً. سَأَلَـها:

- كَيفَ فَعَلتِ ذلِكَ؟

هَزَّتْ كَتِفَيْها بِبَساطَةٍ، قائِلَةً:

- لَـم أَفعَلْ شَيئًا!

كَـذَّبَ عَينَيْـهِ، وَاعتَقَـدَ أَنَّ هـذِهِ الواحَـةَ مَوجـودَةٌ مُنذُ وَقـتٍ طَويـلٍ، لَـم تولَدْ فَجأَةً بِإشارَةٍ مِن إصبَعِ بَحْرَ، فَهذا غَيرُ مَعقولٍ.



عِندَما شَرِبَ وَتَناوَلَ الطَّعامَ، أَرادَتْ أَن تُخبِرَهُ الحَقيقَةَ الآنَ، رَغمَ أَنَّها فَعَلَتْ مِن قَبلُ؛ لِذلِكَ أَجابَتْ عَن سُؤالِهِ بِوُضوحٍ، قائِلَةً:

- لَستُ أَرى الغَدَ، بَلِ الأَمسَ. أَرى ما دارَ مُنذُ آلافِ السِّنينَ. أَعرِفُ كَيفَ صارَ عالَمُنا صَحْراءَ لا متناهِيَةً! كَيفَ فَقَدْنا المَنطِقَ! كَيفَ صارَ البَشَرُ يَقتُلونَ بعضَهُمُ البَعضَ لِلفَوزِ بِقَوقَعَةٍ صَغيرَةٍ جِدًّا، أَو لِلفَوزِ بِزِرٍّ قَميصٍ مِن زَمَنٍ غابِرٍ.

كَيفَ لِإنسانٍ أَن يَتَذَكَّرَ تَفاصيلَ لَم يَعِشْها أَو أَن يَرى الأَمسَ؟! السُّؤالُ الأَصعَبُ هُوَ: كَيفَ لِإنسانٍ أَن يوجِدَ بُحَيرَةَ ماءٍ وَنَخيلًا بِإشارَةٍ مِن يَدِهِ؟ لَم يَفهَمْ أَوسٌ ذلِكَ، وَبَدا الأَمرُ غامِضًا تَمامًا في عَينَيْهِ، لكِنَّهُ غُموضٌ لا يَقِلُّ عَنِ الغُموضِ المَوجودِ بِالفِعلِ بِالعالَمِ. أَسئِلَةٌ أُخرى كَثيرَةٌ لا إجابَةَ لَها: لِماذا العالَمُ عَلى هذِهِ الصّورَةِ؟ ما هذِهِ الصَّحراءُ؟ ما هذِهِ المَخلوقاتُ العَجيبَةُ؟

لَم يُتابِعا السَّيرَ في الصَّحراءِ، بَلِ انتَظَرا نَسْرًا عِملاقًا حَطَّ فَجأَةً فَوقَ الرَّملِ لِيَمتَطِياهُ.

لَـم يَفهَمْ أَوسٌ أَيضًـا كَيفَ استَطاعَتِ الفَتاةُ أَن تَـجلِبَ النَّسـرَ أَو أَن تَأمُرَهُ بِطاعَتِها! وَلِـمَ يَفعَلُ ذلِكَ؟! لِـمَ يَنقادُ إلَيها مِثلَما يَنقادُ إلَيها هُوَ؟! مِثلَما يَتبَعُها في أيِّ مَكانٍ؟!

مِـنَ الأَعْلـى، بَـدا العالَـمُ صَغيـرًا. قَبائِـلُ مُبَعْثَـرَةٌ فـي الصَّحـراءِ. عَرّافـاتٌ مُسِـنّاتٌ يَقِـفُ الرِّجـالُ بِاستِسلامٍ أَمامَهُـنَّ، وَفَتـاةٌ تَطيـرُ عَلـى ظَهـرِ نَسْـرٍ. لَـم يَرغَـبْ فـي سُؤالِـها، إلـى أَيـنَ يَذهَبـانِ أَو مـا خُطَّتُـها! بَـدَتِ الإجاباتُ تُعَقِّـدُ الصّـورَةَ أَكثَـرَ. انتَظَـرَ إلـى أَن يَـصِلا حَيـثُ تُريـدُ. وَبَعـدَ وَقـتٍ قَصيـرٍ، وَجَـدَ أَوْسٌ نَفسَـهُ فَـوقَ جُيـوشِ العَمالِقَـةِ. شَـعَرَ بِالرَّهْبَـةِ، وَأَدرَكَ الـحَقيقَةَ. هـذا الـجَيشُ غَيـرُ قابِـلٍ لِلهَزيمَـةِ أَبَـدًا، عَلـى الأَقَـلِّ لَـن تَسـتَطيعَ قَبيلَـةٌ أَن تَفعَـلَ ذلِكَ وَحدَها. العالَـمُ مَـحكومٌ عَلَيهِ بِالفَناءِ! إِنَّها النِّهايَةُ.

هَزَّتْ بَحْرُ رَأسَها، قائلَةً:

- لا تَعتَقِدْ أَنَّها النِّهايَةُ!

هَل تَقرَأُ أَفكارَهُ أَيضًا؟! إذا كانَتْ تَفعَلُ ذلِكَ، فَلا بُدَّ أَنَّها العَرّافَةُ الأُمُّ حَقًّا!

حَتّـى لَـو كانَـتْ فَتـاةً ضَئيلَـةً وَلا تَـملِكُ شَـعرَةً بَيضـاءَ. فَضَّـلَ أَوْسٌ الصَّمـتَ وَلَـم يَسأَلْـها مُـجَدَّدًا. تَـجاوَزَ النَّسْـرُ جُيـوشَ العَمالِقَـةِ السّـاخِطينَ الـمَخلوقينَ مِـنَ الـحِجارَةِ وَالرِّمـالِ إلـى أَرضٍ خالِيَـةٍ مِـن أَيِّ قَبائـلَ أَو وُحـوشٍ. حَـطَّ النَّسـرُ هُنـاكَ، وَتَرَجَّلَـتِ الفَتـاةُ وَأَوسٌ... سـارَ خَلفَهـا لِـخُطُواتٍ، ثُمَّ تَرَدَّدَ واقِفًا، وَقالَ:

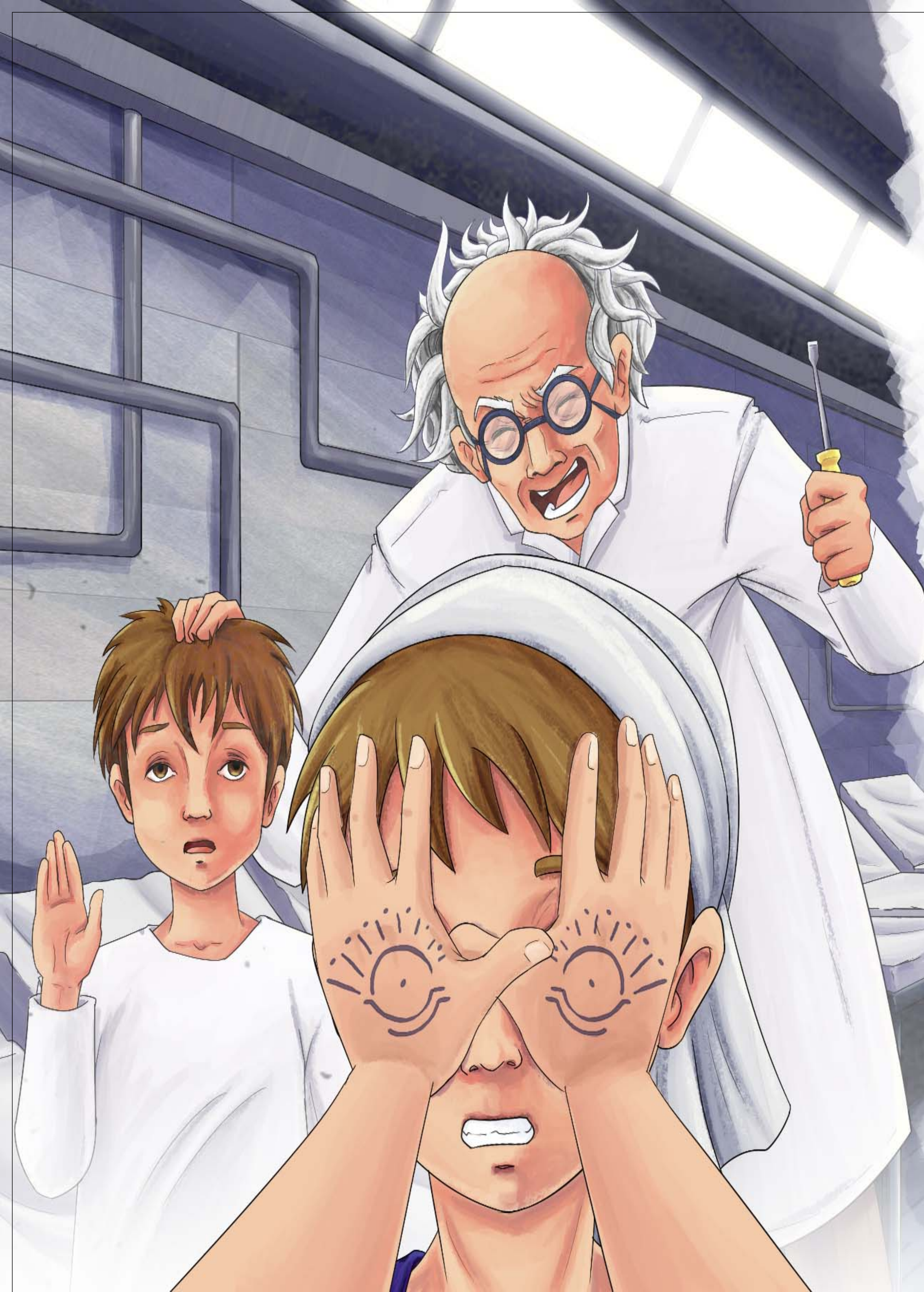
- أَينَ نَذهَبُ؟

عَـرَفَ أَوسٌ أَنَّهـا اللَّحظَـةُ الـمُناسِبَةُ لِتُخبِـرَهُ بِالـحَقيقَةِ. لَـم تَعـرِفْ إنْ كانَ سَـيَقدِرُ عَلـى تَـحَمُّلِها أَم لا! وَقَفَتْ أَمامَهُ عَلى بُعْـدِ خُطوَةٍ، قائلَةً:

- هَل تُريـدُ أَن تَعرِفَ ماذا أُبْصِرُ؟

هَزَّ رَأسَـهُ أَن نَعَم.

وَضَعَـتْ كَفَّيْهـا عَلـى عَينَيْـهِ، فَلَـم تَتَـوارَ خَلفَهـا. كانَـتْ عَينـاهُ فَـوقَ كَفَّيهـا فـي صـورَةٍ لا تَتَحَقَّـقُ إلّا بِـالأَحْلامِ. فـي عالَـمٍ خـالٍ مِـنَ الـمَنطِقِ كُلُّ الأَشياءِ مُـمْكِنَةٌ.



اتَّسَعَتْ عَيناهُ بِذُهولٍ فَوقَ كَفَّيْها، عِندَما أَبصَرَ نَفسَهُ وَعَشَراتِ الرِّجالِ وَالأَطفالِ وَالنِّساءِ مُسْتَلْقينَ عَلى أَسِرَّةٍ بَيضاءَ، في هذِهِ البُقعَةِ ذاتِها حَيثُ يُطِلُّ هذا الجَبَلُ المَسكونُ بِالطَّحالِبِ الخَضراءِ. لا يوجَدُ صَوتٌ أَو نَفَسٌ. الجَميعُ نائِمونَ، بِاستِثناءِ هذا العالِمِ المُسِنِّ ذي الشَّعرِ الأَبيَضِ الأَشْعَثِ. وَقَفَ أَمامَ أَوْسٍ وَفَتَحَ رَأسَهُ بِالمِفَكِّ، وَضَعَ داخِلَهُ شَريحَةً صَغيرَةً، ثُمَّ ضَغَطَ زِرَّ التَّشغيلِ. رَأى أَوسٌ نَفسَهُ يَنهَضُ مِنَ الفِراشِ يَتَحَرَّكُ بِآلِيَّةٍ أَمامَ هذا العالِمِ. يَرفَعُ ذِراعَهُ أَو يُنْزِلُها لِلأَسفَلِ وَفْقًا لِأَوامِرِهِ. يَسيرُ أَو يَتَوَقَّفُ، يَجلِسُ أَو يَقِفُ، يَقفِزُ إِنْ أَرادَهُ أَن يَفعَلَ. العالِمُ يَضحَكُ بِجُنونٍ لِلَحَظاتٍ، ثُمَّ يَضغَطُ زِرَّ التَّشغيلِ لإيقافِهِ مُجَدَّدًا، يُكَرِّرُ اللُّعبَةَ ذاتَها مَعَ بَقيَّةِ البَشَرِ النّائِمينَ عَلى الأَسِرَّةِ.

تُصَحِّحُ بَحْرُ، قائِلَةً:

- لَيْسوا بَشَرًا!

يَأْتيهِ صَوتُها مِن بَعيدٍ لِتُخبِرَهُ بِالحَقيقَةِ المُفزِعَةِ. قالَتْ إِنَّهُم لَيْسوا بَشَرًا، كَأَنَّها تَتَحَدَّثُ عَن آخَرينَ غَيرِهِم.

لَم تَقُلْ لَسْنا بَشَرًا! رُبَّما أَرادَتْ أَن تُخَفِّفَ مِن ثِقَلِ الحَقيقَةِ في قَلْبِ أَوْسٍ. قَلبِهِ المُتَأَلِّمِ؛ كَيفَ يَتَأَلَّمُ إنْ لَم يَكُنْ بَشَرِيًّا! هَزَّ رَأسَهُ لِيُنكِرَ الحَقيقَةَ، بَينَما تَتَّسِعُ عَيناهُ أَكثَرَ وَهُوَ يَرى هذا العالَمَ يُكَرِّرُ لُعبَتَهُ الجُنونيَّةَ مَعَ بَقيَّةِ النّائِمينَ عَلى الأَسِرَّةِ. يَأمُرُ كُلَّ فَردٍ مِنهُم أَن يَفعَلَ ما يُريدُ. الغَريبُ هُوَ أَنَّ العالَمَ الّذي كانَ يَضحَكُ بِجُنونٍ، سَقَطَ بَغتَةً في البُكاءِ، دونَ سَبَبٍ مَفهومٍ، ثُمَّ صَمَتَ لِلأَبَدِ.

هذِهِ الرُّؤى الَّتي تَسكُنُ رَأسَ بَحْرَ مُنذُ لَحظَةِ ميلادِها، وَتُطارِدُها كُلَّ يَومٍ. هذا هُوَ ما دارَ أَمْسِ. غَضَّتْ نَظَرَها عَن ذِكْرِ بَقيَّةِ التَّفاصيلِ. لَم تُخبِرْهُ أَنَّ العالَمَ تَرَكَ في رَأسِها الذِّكْرَياتِ قاصِدًا بَينَما مَحا مِن رُؤوسِ الجَميعِ حَقيقَةَ ما دارَ. أَوقَفَها أَمامَهُ، قائِلًا:

- أَنتِ بَطَلَةُ هذِهِ اللُّعبَةِ... العَرّافَةُ الأَكثَرُ صِدْقًا، الوَحيدَةُ الَّتي تَعرِفُ حَقيقَةَ هذا العالَمِ، وَالَّتي لَن يُصَدِّقَها أَحَدٌ أَبَدًا.

نَظَرَ في عَينَيْها بِقُوَّةٍ، قائِلًا:

- قَوانينُ العالَمِ ضِدَّكِ. قَبائِلُ تَتَقاتَلُ لِلفَوزِ بِغَنائِمَ تافِهَةٍ، وَرِجالٌ مُنقادونَ إلى العَرّافاتِ. عَمالِقَةٌ وَطُيورُ رُخٍّ عَلى وَشْكِ تَدميرِ العالَمِ. تَعرِفينَ هذِهِ الأَشياءَ في صَميمِ قَلبِكِ، رَغمَ أَنَّكِ لَم تَرَيْ عِملاقًا واحِدًا بَل لِأَنَّكِ سَتَذكُرينَ هذِهِ المُحادَثَةَ.

ما أَدرَكَتْهُ بَحْرُ في هذِهِ اللَّحظَةِ، حينَ سارَتْ بَينَ الأَسِرَّةِ البَيضاءِ تَتَأَمَّلُ البَشَرَ النّائِمينَ عَلَيها، كانَ مُخيفًا، وَهُوَ أَنَّ هؤلاءِ لَيسوا بَشَرًا. إنَّهُم مَخلوقاتٌ مَصنوعَةٌ، وَإنْ غَطّى الجِلْدُ مَعْدِنَها. الشَّخصُ الوَحيدُ الَّذي اعتَقَدَتْ أَنَّهُ بَشَريٌّ هُوَ هذا العالَمُ. شَعَرَتْ بِشَفَقَةٍ تِجاهَهُ، إذْ راوَدَها هذا الشُّعورُ؛ أَنَّهُ البَشَريُّ الوَحيدُ، الفَريدُ مِن نَوعِهِ، الَّذي يوجَدُ في هذِهِ الصَّحْراءِ، وَرُبَّما هذا يُفَسِّرُ رَغبَتَهُ في اللَّعِبِ. سَأَلَتْ نَفسَها: إذا كانَ هُوَ البَشَريُّ الوَحيدُ، فَأَينَ بَقيَّةُ البَشَرِ إذَن؟ لَم تَجِدْ إجابَةً.

استَيقَظَتْ مِن ذِكرَياتِها عَلى صَوتِ أَوْسٍ، الَّذي بَدا غاضِبًا وَثائِرًا.

في البِدايَةِ لَم تُدرِكْ ماذا يَقولُ! لكِنَّها رُوَيدًا رُوَيدًا انتَبَهَتْ.

قالَ لَها:

- أَنا لَستُ إنسانًا آليًّا!

هَزَّ رَأسَهُ أَنْ لا في إصْرارٍ عَجيبٍ. مِن أَينَ لَهُ هذا اليَقينُ! لَقَد رَأى الذِّكْرى المَمْحُوَّةَ مِن رُؤوسِ الجَميعِ. العالِمُ صَنَعَهُم عَلى هذِهِ الأَسِرَّةِ. وَضَعَ في رُؤوسِهِم شَريحَةً تُحَدِّدُ أَدوارَهُم في الحَياةِ مُسْبَقًا، وَمَيَّزَ بَحرَ بِشَريحَةٍ خاصَّةٍ تَجعَلُها تَعرِفُ خارِطَةَ العالَمِ، وَتَجعَلُ الصَّحراءَ تَنقادُ إلَيها أَيضًا. بَرْمَجَ العالِمُ كُلَّ شَيءٍ. رَأى أَوسٌ هذا بِعَيْنِهِ، وَمَعَ ذلِكَ يُنكِرُهُ بِإصْرارٍ.

الإنسانُ يُدافِعُ عَمّا يَعتَقِدُهُ، عَمّا وُلِدَ عَلَيهِ، وَإنْ كانَ خَطَأً؛ لِأَنَّهُ في الأَصلِ يُدافِعُ عَن وُجودِهِ. تُمَثِّلُ هذِهِ المُعتَقَداتُ دِرْعًا لَهُ. لَيسَ غَريبًا إذَن أَن يُدافِعَ أَوسٌ عَن حَقيقَتِهِ البَشَرِيَّةِ، وَلَيسَ غَريبًا أَيضًا أَن تُدافِعَ القَبيلَةُ عَن خُرافاتِها أَيضًا. لا أَحَدَ سَيُنصِتُ إلَيها؛ لِأَنَّها تُخبِرُهُم بِأَشياءَ تُهَدِّدُ شُعورَهُم بِالسَّلامِ. تُريدُ إقناعَ أَوسٍ الآنَ أَنَّ حَياتَهُ بِأَكمَلِها كِذْبَةٌ، تُريدُ إقناعَ القَبيلَةِ أَنَّ العَرّافاتِ مُجَرَّدُ كِذْبَةٍ! لَن يَسمَحَ لَها أَحَدٌ بِذلِكَ. إنَّها طِفلَةٌ لا تَعرِفُ ما تَفعَلُهُ، لا تَعرِفُ كَم هُوَ خَطَرٌ!

تَفهَمُ ذلِكَ، وَلَوْلا جَيشُ العَمالِقَةِ القادِمُ لِتَدْميرِ العالَمِ ما اهتَمَّتْ. كانَتْ سَتَترُكُ لِلعالَمِ أَكاذيبَهُ، ما دامَ النّاسُ يَعيشونَ في سَلامٍ. لكِنَّ حَياتَهُم- سَواءٌ أَكانوا بَشَرًا أَم بَشرًا آلِيّينَ - مُهَدَّدَةٌ. هذا ما أَخبَرَتْ بِهِ أَوْسًا، وَهذا هُوَ ما دَفَعَهُ لِلضِّحْكِ بِجُنونٍ:

- ما فائِدَةُ حَياتِنا إنْ كُنّا قِطَعَ خُرْدَةٍ؟

لَم تَجِدْ بَحْرُ إجابَةً لِهذا السُّؤالِ. رُبَّما لَدَيْهِ وِجْهَةُ نَظَرٍ جَيِّدَةٌ. سَتُدَمِّرُ العالَمَ إنْ عَرَفَتِ القَبائِلُ بِذلِكَ، وَإنْ لَم تَفعَلْ هِيَ، سَيُدَمِّرُهُ جَيشُ العَمالِقَةِ. عَلى أَيِّ حالٍ، لَيسَ هذا الوَقتَ المُناسِبَ لِمِثلِ هذا الجَدَلِ. لَقَد جاءَتْ إلى هذِهِ البُقعَةِ مِنَ الصَّحراءِ لِغايَةٍ مُعَيَّنَةٍ. لَم تَأتِ فَقَط لِتَضَعَ كَفَّيْها عَلى عَينَيْ أَوْسٍ. سَأَلَها أَوسٌ عَن هذِهِ الغايَةِ، فَأَخَذَتْهُ مِن يَدِهِ إلى جَبَلِ الطَّحالِبِ.



وَقَفَتْ أَمامَ الـجَبَلِ وَوَضَعَـتْ كَـفَّ يَدِهـا عَلـى صَخْـرَةٍ بِعَينِها، اتَّسَـعَتْ عَيْنا أَوْسٍ عِندَمـا رَأى الصَّخـرَةَ تَقـرَأُ خُطـوطَ يَدِهـا وَبَصَمـاتِ أَصابِعِهـا. شَـعَرَ بِالاندِهـاشِ، وَكادَ أَن يَسأَلَـها، كَيفَ عَرَفَـتْ بِوُجـودِ هـذِهِ البَوّابَـةِ هُنـا! ثُـمَّ أَدرَكَ أَنَّهـا تَتَذَكَّـرُ. كانَـتْ بِالفِعـلِ تَتَذَكَّـرُ عِندَمـا أَمسَـكَ العالِـمُ بِكَـفِّ يَدِهـا وَوَضَعَها عَلى تِلكَ الصَّخرَةِ لِتَحمِلَ بَصْمَتَها وَتَسمَحَ لَـها بِالدُّخولِ، ثُمَّ قالَ:

- ذاتَ يَـومٍ سَـتَرْغَبينَ فـي الوُصـولِ إِلَـيَّ، رُبَّمـا أَمَلًا فـي إِنْقـاذِ العالَـمِ، وَرُبَّما فَقَط سَتَرْغَبينَ في التَّأَكُّدِ مِن أَنَّ ذِكْرَياتِ رَأسِكِ المُؤلِمَةَ حَقيقِيَّةٌ!

وَتَتَذَكَّرُ أَنَّها سَأَلَتْهُ، قائِلَةً:

- هَل سَتَظَلُّ حَيًّا إِلى ذلِكَ اليَومِ؟

ضَحِكَ العالِمُ قائِلًا:

- نَعَم، ما زِلتُ فَتِيًّا. بَلَغتُ الـمِئَةَ اليَومَ!

تَـجاعيدُهُ الكَثيـرَةُ وَسُعالُهُ الـمُستَمِرُّ يُشيرُ إِلـى قُـرْبِ أَجَلِـهِ. لَـن يَصْمُـدَ عامًا آخَرَ. سَيَموتُ البَشَرِيُّ الأَخيرُ في الـحَياةِ دونَ أَن تَعرِفَ سِرَّ البَشَرِ!



كَيفَ أَصبَحَ آخِرَ البَشَرِ؟ ماذا حَدَثَ لِلبَقيَّةِ؟ هَلِ انْقَرَضوا؟ هَل دارَتْ حَرْبٌ بَينَهُم مِثلُ حَرْبِ القَبائِلِ؟ وَلِماذا لا يُجيبُ عَن أَسئِلَتِها المُتَعَلِّقَةِ بِالبَشَرِ، رَغمَ أَنَّهُ يُجيبُ عَن أَيِّ أَسئِلَةٍ أُخرى، لكِنَّهُ هُنا فَقَط يُفَضِّلُ الصَّمْتَ.

لَم تَعتَقِدْ مَعَ ذلِكَ أَنَّها سَتَجِدُهُ هُنا: لا يَزالُ حَيًّا؟! لا يَزالُ جالِسًا في غُرفَةِ المُراقَبَةِ المُمتَلِئَةِ بِالشّاشاتِ الَّتي تَنقُلُ عَشَراتِ الصُّوَرِ لِلقَبائِلِ! دونَ تَرَدُّدٍ عَدَتْ بَحْرُ إِلَيهِ وَأَلقَتْ نَفسَها في حِضْنِهِ، قائِلَةً كَلِمَةَ "بابا!". ابتَسَمَ لَها وَاحْتَضَنَها بِدَوْرِهِ، بَينَما اقتَرَبَ أَوسٌ بِحَذَرٍ. أَشارَتْ إِلَيهِ بَحْرُ لِيَقتَرِبَ، شَجَّعَتْهُ بِهَزَّةٍ مِن رَأسِها لِيَمُدَّ يَدَهُ وَيُصافِحَ العالِمَ، لكِنَّ أَوْسًا لَم يَفعَلْ ذلِكَ.

سَأَلَتْهُ بَحْرُ:

- صافِحْهُ! إِنَّهُ أَبوكَ أَيضًا... لا يُحِبُّ صانِعُنا أَن نَدعُوَهُ بِالسَّيِّدِ. يُفَضِّلُ لَفْظَةَ بابا. إِنَّهُ البَشَرِيُّ الوَحيدُ المُتَبَقّي في العالَمِ!

هَزَّ أَوسٌ رَأسَهُ أَنْ لا! أَبوهُ هُناكَ في القَبيلَةِ. لَم يَشعُرْ بِالارْتِياحِ لِلعالِمِ.

هَزَّ العالِمُ رَأسَهُ، وَبَدا عَلَيهِ التَّفهُّمُ حينَ قالَ مُوَجِّهًا كَلِماتِهِ لِبَحْرَ:

- أَوسٌ، إنَّهُ عَنيدٌ وَمُتَمَرِّدٌ. حَفيدُ العَرّافَةِ الأُمِّ الَّتي لا يُؤمِنُ بِكَراماتِها وَلا يَحتَرِمُ مَنزِلَتَها. لَيسَ غَريبًا أَيضًا أَن يَتَمَرَّدَ عَلَيَّ!

نَظَرَ أَوسٌ إلَيهِ مُتَحَفِّزًا، بَينَما تابَعَ العالِمُ:

- أَنا صَنَعتُهُ عَلى هذِهِ الصّورَةِ!

ثُمَّ التَفَتَ إلى بَحْرَ، وَعادَ لَطيفًا مِثلَما كانَ، قائِلًا:

- وَالآنَ... هَل جِئتِ لإنقاذِ العالَمِ؟

أَجابَتْ بَحْرُ:

- نَعَم، هَل تَعرِفُ كَيفَ أَفعَلُ ذلِكَ؟

لا تَعرِفُ كَيفَ تَستَطيعُ أَن تُقنِعَ قَبيلَتَها وَبَقيَّةَ القَبائِلِ بِأَنَّها العَرّافَةُ الأُمُّ وَأَنَّ جَيشَ العَمالِقَةِ آتٍ لِتَدميرِهِم. لَن تَستَطيعَ قَبيلَةٌ واحِدَةٌ الوُقوفَ ضِدَّ هذا الجَيشِ، عَلَيها أَن تُوَحِّدَ القَبائِلَ أَسفَلَ رايَةٍ واحِدَةٍ، عَلَيها أَن تُغَيِّرَ العالَمَ، أَن تَجعَلَ قَبيلَتَها تُؤمِنُ بِعَرّافَةٍ طِفلَةٍ صَغيرَةٍ، وَأَن تُقنِعَ بَقيَّةَ القَبائِلِ أَنَّهُ لَيسَ عَلَيهِم أَن يَقتُلوا بَعضَهُمُ البعضَ، وَأَن يَتَخَيَّلوا مَسارًا أَفضَلَ لِلحَياةِ.

هَزَّ العالِمُ رَأسَهُ أَنْ لا. بِهذِهِ البَساطَةِ، أَخبَرَها أَنَّ عالَمَهُم مَحكومٌ عَلَيهِ بِالفَناءِ، عَلَيها الاستِسلامُ لِهذا القَدَرِ. شَعَرَتْ بَحْرُ بِاليَأسِ... لَم تَعتَقِدْ أَنَّ هذِهِ سَتَكونُ إجابَتَهُ. طَوالَ عُمْرِها انتَظَرَتْ هذِهِ اللَّحظَةَ لِتَراهُ مُجَدَّدًا وَتَتَأَكَّدَ مِن حَقيقَةِ ذِكْرَياتِها، وَعِندَما فَعَلَتْ كانَ هذا هُوَ رَدَّهُ! لَدَيهِ غُرفَةُ تَحَكُّمٍ بِالأَعاصيرِ وَالطّوفانِ وَالمَخلوقاتِ الأُسطوريَّةِ وَالوُحوشِ المُختَلِفَةِ.

سَأَلَتْهُ بَحْرُ:

- لِماذا لا تُقَدِّمُ المُساعَدَةَ؟

أَجابَها بِبَساطَةٍ:

- أَنا وَحيدٌ جِدًّا. أَنتَظِرُ هذِهِ اللَّحظَةَ مُنذُ وَقتٍ طَويلٍ، لَحظَةَ هُجومِ العَمالِقَةِ عَلى القَبائِلِ الَّتي تُقاتِلُ بَعضَها مُنذُ وَقتٍ طَويلٍ. إنَّها اللَّحظَةُ الأَكثَرُ إثارَةً، لِماذا تَرْغَبينَ أَنتِ في إفْسادِها بِإنْقاذِ العالَمِ؟

لِماذا تُريدينَ فِعْلَ ذلِكَ؟

نَظَرَتْ إلَيهِ بِفَزَعٍ، قائِلَةً:

- اللَّحظَةُ الأَكثَرُ إثارَةً لَحظَةُ فَنائِنا!

بِالبَساطَةِ ذاتِها، أَجابَها:

- أَنتُم مُجَرَّدُ خُرْدَةٍ، لا تَشعُري بِالحُزنِ... سَأَقومُ بِإعادَةِ صِناعَتِكُم. سَأُعيدُ اللُّعبَةَ مُجَدَّدًا، سَأُراقِبُ ماذا سَتَفعَلونَ هذِهِ المَرَّةَ! أَستَطيعُ التَّخْمينَ لِأَنَّها المَرَّةُ الأَلفُ الَّتي أُشاهِدُكُم فيها تُقاتِلونَ وَتَقتُلونَ بَعضَكُم إلى أَن تُدَمِّروا العالَمَ!

لَم تَجِدْ بَحرُ الكَلِماتِ، وَظَلَّتْ صامِتَةً مُحْبَطَةً. مَدَّ أَوْسٌ يَدَهُ إلَيها وَأَخبَرَها بِأَنَّ الصّانِعَ لَن يُساعِدَهُم، وَأَخبَرَها أَيضًا أَنَّهُم وَحيدونَ في هذِهِ المَسأَلَةِ. خَرَجا مِن جَبَلِ الطَّحالِبِ مَعًا. اتَّجَها إلى النَّسْرِ الَّذي كانَ بِانتِظارِهِم. ظَلَّتْ بَحْرُ شارِدَةً... كانَتْ لا تَزالُ مَصْدومَةً، الأَمرُ الَّذي دَفَعَ أَوْسًا لِاتِّخاذِ قَرارٍ بِقِيادَةِ النَّسْرِ. في أَثْناءِ التَّحْليقِ، أَخبَرَها بِأَنَّها عَرّافَةُ الصَّحراءِ، أَخبَرَها أَنَّ حَياتَها وَحَياةَ البَشَرِ لَيسَتْ كِذْبَةً. ظَلَّ يُدافِعُ عَن وُجودِهِ... ظَلَّ يُؤَكِّدُ لَها أَنَّهُ لَيسَ مُجَرَّدَ إنسانٍ آلِيٍّ. لَم يَبْدُ عَلَيها الاقتِناعُ.

قالَتْ لَهُ:

- كُلُّنا خُرْدَةٌ؛ لِذلِكَ نَقتُلُ بعضَنا البَعضَ!

هَزَّ رَأسَهُ أَنْ لا بِغَيرِ اقتِناعٍ! وَقالَ بِإشفاقٍ:

- نَحنُ بَشَرٌ.

قالَتْ بِكَآبَةٍ:

- لا أُبالي بِفَنائِنا أَو بَقائِنا عَلى قَيْدِ الحَياةِ!

هَزَّ رَأسَهُ مُكَذِّبًا، ثُمَّ قالَ:

- تَعرِفينَ! أَنا أَيضًا عَرّافٌ لِلصَّحْراءِ، أَستَطيعُ التَّنَبُّؤَ بِتَصَرُّفاتِكِ، أَستَطيعُ التَّنَبُّؤَ أَيضًا بِتَصَرُّفاتِ قَبيلَتِنا، بَل وَكُلِّ القَبائِلِ الأُخرى!

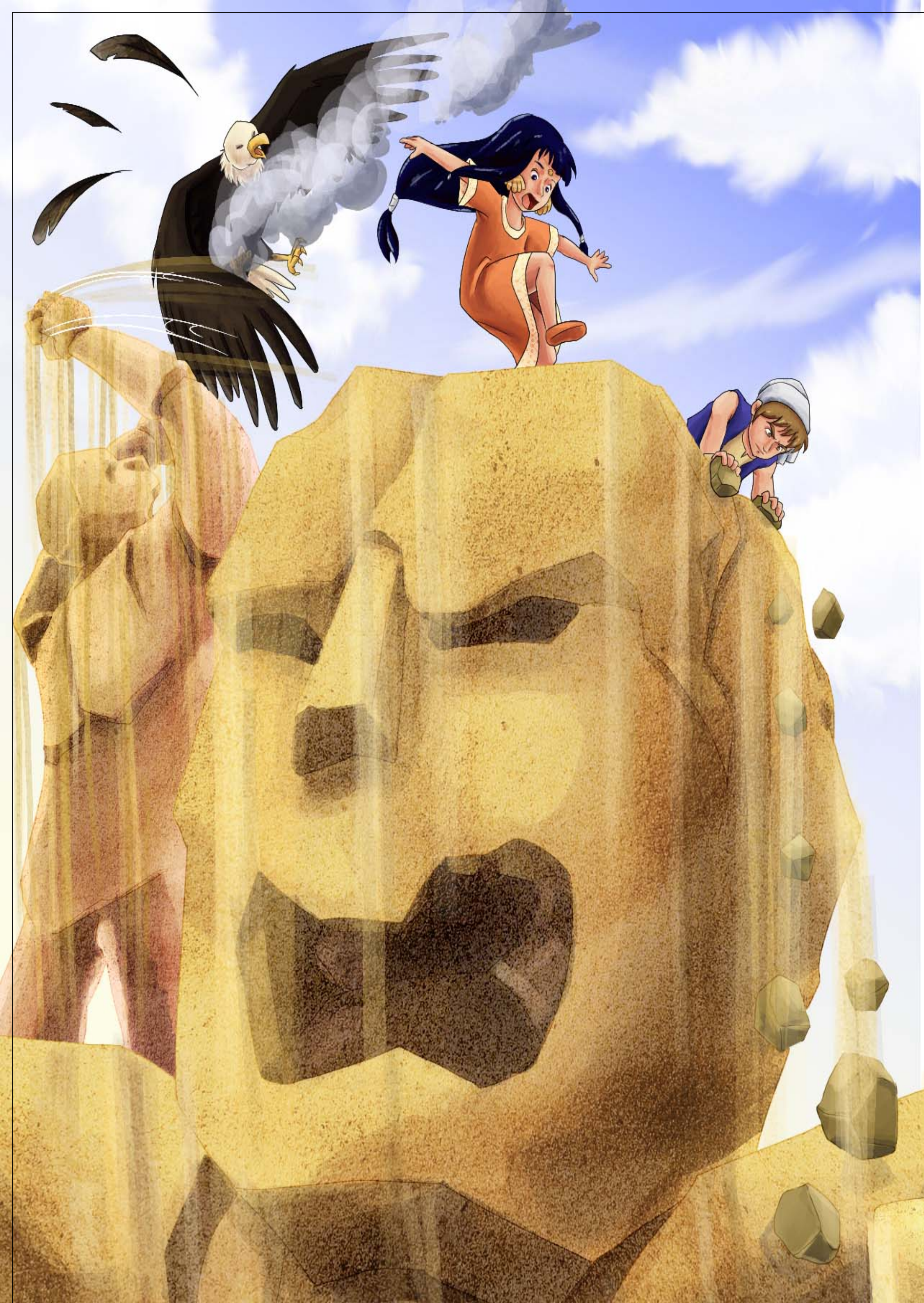
لَم يَبْدُ عَلَيها الاهتِمامُ، رَغمَ أَنَّ النَّسْرَ حَلَّقَ بَغْتَةً عَلى ارتِفاعٍ مُنخَفِضٍ بِصورَةٍ حادَّةٍ.

وَلَم تَنتَبِهْ إلّا حينَ قَفَزَ أَوسٌ بَغتَةً مِن ظَهرِ النَّسرِ.



نَظَرَتْ إلى الأَسفَلِ، فَوَجَدَتْهُ عَلى رَأسِ أَحَدِ العَمالِقَةِ. أَدرَكَتْ لِلتَّوِّ أَنَّهُما فَوقَ جَيشِ العَمالِقَةِ، وَلَم تفهَمْ لِماذا قَفَزَ أَوسٌ! سَيَقتُلُ نَفسَهُ! أَم يُريدُها أَن تُفيقَ؟! تَقِفُ أَمامَ خِيارٍ بَينَ مُساعَدَتِه أَو تَجاهُلِه، بَينَ الاعتِقادِ بِبَشَرِيَّتِهِ أَو بِكَونِهِ قِطعَةَ خُرْدَةٍ! ثارَ العِملاقُ عِندَما وَجَدَ هذا المَخلوقَ الضَّئيلَ فَوقَ رَأسِهِ، وَبَدَأَ يُحاوِلُ مُهاجَمَتَهُ دونَ جَدْوى كَما يُهاجِمُ الإنسانُ ذُبابَةً! لَم تَعرِفْ بَحْرُ أَنَّ أَوْسًا لَدَيهِ خُطَّةٌ، لَيسَ فَقَط أَن يَجعَلَها تَسْتَفيقُ وَتُؤمِنُ بِبَشَرِيَّتِهِ وَحَقِّهِ في الحَياةِ، بَل أَرادَ اصْطِيادَ عِملاقٍ. إنَّها الطَّريقَةُ الوَحيدَةُ مِنْ وِجهَةِ نَظَرِهِ الَّتي سَتَجعَلُ القَبائِلَ تَتَّحِدُ مَعًا، عِندَما يُدرِكونَ حَجمَ الخَطَرِ المُهَدِّدِ لَهُم.

فَوقَ رَأسِ العِملاقِ، ظَلَّ أَوسٌ يَحفِرُ، وَيُلْقي بِالحِجارَةِ الصَّغيرَةِ بَعيدًا فَقَط لِيَفتَحَ لِنَفسِهِ مَنْفَذًا إلى الدّاخِلِ. امتَلَكَ صورَةً واضِحَةً عَنِ العالَمِ قالَ الصّانِع إنَّهُما آلِيّانِ، وَبَقِيَّةُ البَشَرِ كَذلِكَ. فِكرَةٌ لَن يُؤمِنَ بِها أَوسٌ أَبَدًا، لكِنَّها أَوحَتْ لَهُ بِحَقيقَةِ العَمالِقَةِ. لِماذا لا يَكونونَ آلِيِّينَ أَيضًا وَبَقِيَّةُ المَخلوقاتِ الأُسطورِيَّةِ في هذا العالَمِ؟!



رُبَّما قامَ الصّانِعُ بِبَرْمَـجَةِ وَصِناعَةِ كُلِّ ذلِكَ لِلَّعِبِ فَقَط.

وَدَّ أَوسٌ لَـو وَجَـدَ غُرفَـةَ تَـحَكُّمٍ صَغيـرَةً أَو بِضعَـةَ تُـروسٍ فـي رَأسِ العِـملاقِ. لَـم يَعـرِفْ إنْ كانَ سَـيَقدِرُ عَلـى قِيادَتِـهِ بَعـدَ ذلِـكَ. أَمّا بَحْـرُ، فَظَلَّتْ تُـحَلِّقُ بِالنَّسْـرِ وَتُهاجِـمُ بَقيَّـةَ العَمالِقَـةِ، لِتُبعِدَهُـم عَـن عِـملاقِ أَوسٍ الَّـذي ظَـلَّ يَهيـجُ فـي الصَّحـراءِ وَيَعْـدو فـي مُـحاوَلَةٍ لِلتَّخَلُّـصِ مِـن أَوْسٍ. اسـتَطاعَ أَحَـدُ العَمالِقَـةِ ضَـرْبَ نَسْـرِ بَحْـرَ... خَـرَجَ الدُّخـانُ مِـن جَسَـدِهِ، الأَمـرُ الَّـذي عَـزَّزَ حَقيقَـةَ أَنَّـهُ آلـيٌّ أَيضًـا. حَلَّقَـتْ بِـهِ بَحْـرُ بِصُعوبَـةٍ إلـى أَنْ وَصَلَـتْ عِنـدَ عِـملاقِ أَوسٍ... قَفَـزَتْ فَـوقَ رَأسِـهِ، وَوَقَفَـتْ جِـوارَهُ تَنتَـزِعُ الأَحجـارَ لِتَظهَـرَ غُرفَةُ التَّحَكُّمِ.

قالَتْ لَهُ:

- أَنـتَ عَرّافٌ أَيضًا! كَيفَ عَرَفتَ؟

هَزَّ أَوسٌ رَأسَهُ بِإيمانٍ:

- نَحنُ بَشَـريّانِ يا بَحْرُ. أُقسِمُ لَكِ.



دَليلُـهُ بَسيطٌ؛ قَلبُـهُ الَّـذي يَـخفُقُ بِالـحَياةِ وَالـمَحَبَّةِ لِبَحْـرَ وَلِقَبيلَتِـهِ، وَلِبَقيَّـةِ البَشَـرِ، لا يَسـتَطيعُ أَحَـدٌ أَن يُلغِـيَ هـذِهِ الفِكـرَةَ مِـن رَأسِـهِ. إنَّـهُ بَشَـريٌّ لِأَنَّ لَدَيـهِ عاطِفَـةً جُنونيَّـةً. لَـم يُـخبِرْها بِذلِـكَ، لكِنَّها بِالـمِثلِ شَـعَرَتْ بِعاطِفَتِـهِ. أَغمَضَـتْ عَينَيْهـا، وَرَأَتْ مـا سَـيَدورُ بَعـدَ ذلِـكَ. القَبيلَـةُ بِأَكْمَلِهـا تَنظُـرُ إلـى العِـملاقِ الواقِـفِ أَمامَهـا بِاسـتِسلامٍ، وَفَـوقَ رَأسِـهِ أَوسٌ، وَبَحْـرُ فـي غُرفَـةِ التَّحَكُّمِ.

تُـخبِرُهُم بَحْرُ:

- جَيشٌ كامِلٌ مِنَ العَمالِقَةِ قادِمونَ لِإبادَةِ البَشَرِ!

تَقِـفُ بَحْـرُ فـي دائِـرَةِ القَواقِـعِ وَتَنفُـخُ فـي الغُبـارِ لِتُخبِرَهُـم بِمـا يَـجِبُ أَن يَفعَلوهُ. عَلـى القَبائِـلِ أَن تَتَّحِـدَ جَـميعًا لِـهَزيمَةِ هـذا الـخَطَرِ الـمُفزِعِ، وَأَن يَتَوَقَّفـوا عَـن قِتـالِ بَعضِهِـمُ البَعـضِ. حـاوَلَ أَحَـدُ الرِّجـالِ التَّدَخُّـلَ لِيُخـرِجَ بَحْـرَ مِـن دائِـرَةِ القَواقِـعِ. قَفَـزَ أَوسٌ مِـنَ العِـملاقِ لِيَقِـفَ فـي صَفِّهـا... فوجِـئَ بِجَدَّتِـهِ أُمِّ العَرّافـاتِ، تَتَدَخَّـلُ لِتَحـولَ بَيـنَ ذلِـكَ الرَّجُـلِ وَبَيـنَ بَحْـرَ، وَفوجِئَـتْ بَحْرُ بِيَدِها الَّتي تَدهُنُ خُصلَةً مِن شَعرِها بِالأَبيَضِ.



أَعلَنَتْ جَدَّةُ أَوسٍ بَحْرَ عَرّافَةً لِلصَّحْراءِ. وَهَبَتْها الخُصلَةَ البَيضاءَ الَّتي تَحتاجُ إلَيها لِتُؤمِنَ بِها القَبيلَةُ. لَم تُؤمِنْ بِها، لكِنَّها تُؤمِنُ بِالخَطَرِ وَتُجيدُ قِراءَةَ الاحتِمالاتِ. لَن يَهزِموا العَمالِقَةَ وَحْدَهُم. بَحْرُ مُحِقَّةٌ. إنَّهُم بِحاجَةٍ إلى بَقيَّةِ القَبائِلِ. أَمرٌ مُؤَقَّتٌ، وَسَتُحاوِلُ بَعدَ ذلِكَ استِعادَةَ عَرْشِها، مِثلَما يُعاوِدُ البَشَرُ قِتالَ بَعضِهِمُ البَعضِ.

اجتَمَعَتِ القَبائِلُ في وَقتٍ قَصيرٍ. رَأَوُا الدَّليلَ عَلى جَيشِ العَمالِقَةِ القادِمِ. اتَّحَدوا مَعًا... انتَظَروا الجَيشَ في قَبيلَةِ القَواقِعِ، وَاندَلَعَتِ الحَربُ. حَرْبٌ رَأَتْ بَحْرُ نِهايَتَها جَيِّدًا. البَشَرُ يَنتَصِرونَ، وَلَم تَكُنْ هُنا لِتَشهَدَ نِهايَتَها، بَل كانَتْ هُناكَ أَمامَ جَبَلِ الطَّحالِبِ.

وَضَعَتْ يَدَها عَلى بَوّابَةِ الجَبَلِ، فَانْفَتَحَتْ لَها. دَخَلَتْ إلى أَبيها الَّذي كانَ يُراقِبُ المَعرَكَةَ بِحَماسٍ مِنَ الشّاشاتِ. نَظَرَتْ إلَيهِ طَويلًا، فَأَدرَكَ وُجودَها. أَشارَ إلَيها أَن تَقتَرِبَ، فَفَعَلَتْ. جَلَسَتْ إلى جِوارِهِ، وَأَشارَ إلَى الشّاشَةِ. قالَ: "إنَّ نَتيجَةَ هذِهِ المَعرَكَةِ مُختَلِفَةٌ".

البَشَـرُ الآليّـونَ عَلـى وَشْـكِ الانتِصـارِ، وَإنْقـاذِ الأَرضِ! أَخبَرَهـا أَيضًـا أَنَّ هـذِهِ النَّتيجَـةَ مُؤَقَّتَـةٌ، سَـيُعاوِدونَ قِتـالَ بَعضِهِـمُ البَعـضِ. ظَلَّـتْ بَحْـرُ تَنظُـرُ إلَيـهِ وَإلـى تَـجاعيدِهِ الكَثيـرَةِ. تَـجاوَزَتْ وَصفَـهُ لَـهُمْ بِالبَشَـرِ الآليّيـنَ! لَـم تُصَدِّقْهُ هذِهِ الـمَرَّةَ!

سَـأَلَتْهُ سُؤالَـها ذاتَـهُ الَّذي لَـم تَـملِكْ لَهُ إجابَةً:

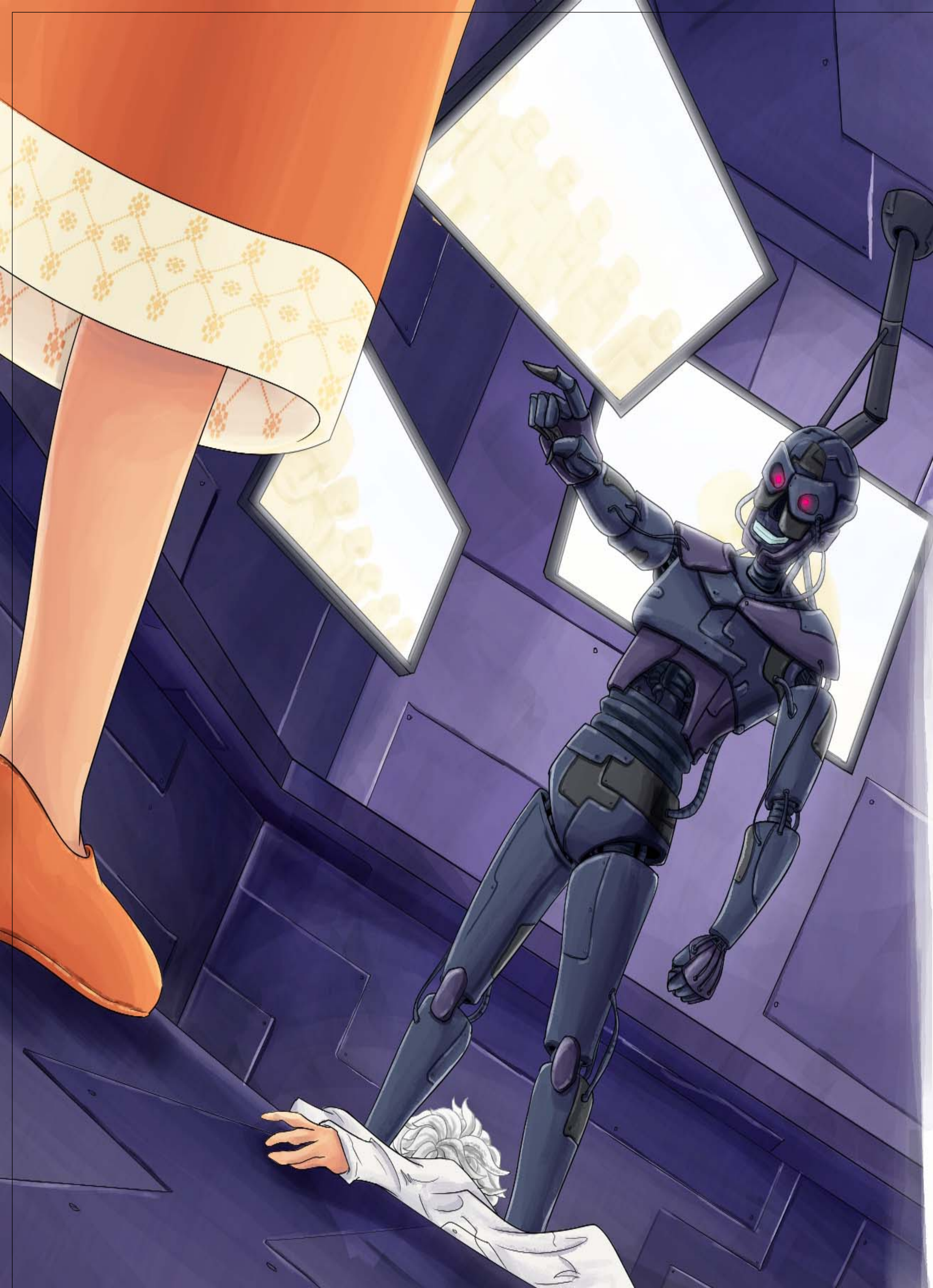
- كَيـفَ أَصبَحْتَ آخِرَ البَشَـرِ؟

نَظَـرَ إلَيهـا دونَ أَن يُـجيبَ كَالـمُعتادِ. سَـأَلَتْهُ: مـاذا حَـدَثَ لِلبَقيَّـةِ؟ هَـلِ انقَرَضـوا؟ هَـل دارَتْ حَـربٌ بَينَهُـم، مِثـلُ حَـربِ القَبائِـلِ؟ وَلِـماذا! لِـماذا لا يُـجيبُ عَـن هـذا السُّـؤالِ تَـحديدًا؟! أَطالَـتِ النَّظَـرَ إلـى تَـجاعيدِهِ، وَسَـأَلَتْ نَفسَـها: كَـم عُمْـرُ هـذا الإنسـانِ البـارِدِ؟... أَلـفُ عـامٍ؟ أَلفـانِ؟ لا يَعيـشُ إنسـانٌ كُلَّ هـذا الوَقـتِ. إنَّـهُ وَحيـدٌ جِـدًّا، يَلْهـو بِمَصائِـرِ القَبائِـلِ وَأَرواحِهِـم دونَ أَن يُبالِـيَ. لا يُعقَـلُ أَن يَكـونَ إنسـانًا. أَغمَضَـتْ عَينَيْهـا وَرَأَتِ الـحَقيقَةَ.

البَشَـرُ عَلـى الأَسِـرَّةِ البَيضـاءِ فـي الصَّحْـراءِ، بَينَمـا تَنهَـضُ وَتَدخُـلُ إلـى جَبَـلِ الطَّحالِـبِ. فـي هـذِهِ الـمَرَّةِ تَـجِدُهُ واقِفًـا أَمامَ الـمِرآةِ عارِيًـا مِن أَيِّ جِلْـدٍ وَمَعْـدِنٍ. مُـجَرَّدُ قِطعَةِ خُرْدَةٍ.

تَتَخَيَّـلُ بَحْـرُ ما دارَ قَديمًـا، مَعرَكَـةٌ بَيـنَ البَشَـرِ وَالبَشَـرِ الآليّيـنَ ذَوي الـذَّكاءِ الصِّناعـيِّ الخـارِقِ تَنتَهـي بِهَزيمَـةِ البَشَـرِ. لا يَتَبَقّـى مِـنَ الآليّيـنَ إلّا هـذا. لا يُفَكِّـرُ بِاختِـراعِ بَشَـرٍ آليّيـنَ جُـدُدٍ، أَو خارِقيـنَ مِثلِـهِ، أَو ذَوي قُلـوبٍ مَعْدِنيَّـةٍ بـارِدَةٍ، وَيُـحِبُّ أَن يَكـونَ هُـوَ الفَريـدَ مِـن نَوعِـهِ. يَنظُـرُ إلـى أَسْـراهُ مِـنَ البَشَـرِ وَيَلعَـبُ مَعَهُـم تِلـكَ اللُّعبَـةَ. يَنتَـزِعُ ذاكِرَتَهُـم، وَيُقنِعُهُـم بِأَنَّهُـم بَشَـرٌ آليّـونَ، مُزَيَّفـونَ. تُفيـقُ بَحْـرُ مِـن أَوْهامِهـا عَلـى صَـوتِ أَبيهـا الـمَعْدِنيِّ الَّذي يُـخبِرُها بِـأَن تَقتَـرِبَ، لِتَعـرِفَ دَوْرَهـا فـي اللُّعبَـةِ الـجَديدَةِ، بَعـدَ هَزيمَـةِ جَيـشِ العَمالِقَـةِ. يُـخبِرُها أَنَّ وُحوشًـا جَديـدَةً سَـتَظهَرُ فـي الأَرضِ، مَعـارِكُ أَكثَـرُ ضَراوَةً عَلى وَشْكِ الوُقوعِ. تَهُزُّ بَحْرُ رَأسَها أَنْ نَعَم.

تُـخبِرُهُ قائِلَةً:



- تَعرِفُ أولى مَعارِكِنا القادِمَةِ ضِدَّ مَنْ؟

أَدهَشَهُ سُؤالُها المُباغِتُ، فَسَأَلَها بِدَوْرِهِ:

- ضِدَّ مَنْ؟

قالَتْ:

- أَنتَ.

عِندَما قالَتْ ذلِكَ، ابتَسَمَ أَبوها، وَهَزَّ رَأسَهُ مُتَفَهِّمًا. سَقَطَ جِلْدُهُ البالي أسفلَهُ. ظَهَرَ عَلى حَقيقَتِهِ. مُجَرَّدُ قِطعَةِ خُرْدَةٍ بارِدَةٍ. أَشارَ إِلَيها بِإِصْبَعِهِ الطَّويلِ الحادِّ إشارَةً مُخيفَةً، خاصَّةً أَنَّ عَينَيْهِ بَدَتا مُحْمَرَّتَينِ جِدًّا وَشِرّيرَتَيْنِ جِدًّا. وَقالَ لَها بِابتِسامَةٍ واسِعَةٍ:

- أوه يا فَتاةُ! أُحِبُّ أَن أَلعَبَ مَعَكِ تِلكَ اللُّعبَةَ!

غادَرَتْ بَحْرُ الجَبَلَ، وَتَرَكَتْ أَباها في غُرفَةِ التَّحَكُّمِ وَغُرفَةِ المُراقَبَةِ يُراقِبُها تَحديدًا دونَ بَقيَّةِ البَشَرِ، وَيُراقِبُ ابتِسامَتَها الواسِعَةَ عَلى وَجهِها.

لَم تَعرِفْ بَحْرُ لِلمَرَّةِ الأولى ماذا سَيَحدُثُ!



هَـل سَـتَنتَصِرُ عَلـى هـذا الوَحـشِ الـمَعْدِنيِّ أَم لا؟ لَـم تُبـالِ بِإجابَـةِ هـذا السُّؤالِ الآنَ... كُلُّ ما اهتَمَّـتْ بِـهِ هُـوَ أَن تَتَنَفَّـسَ بِعُمـقٍ، وَأَن تَـدَعَ الـهَواءَ يَدخُلُ إلى رِئَتَيْها، وَأَن تَصيحَ بِصَوتٍ عالٍ مُنْتَشٍ:

- أَنا بَشَرِيَّةٌ!

راقَبَهـا الصّانِـعُ، وَظَـلَّ يَضحَـكُ. أَحَـسَّ الآنَ أَنَّ لُعبَتَـهُ عَلـى وَشْـكِ أَن تَـزدادَ خُطـورَةً، وَبِالضَّـرورَةِ تَـزدادُ مُتْعَتُهـا. أَرادَ أَن يُعلِـنَ عَـن قُوَّتِـهِ وَنُفـوذِهِ لِعَرّافَتِـهِ الصَّغيـرَةِ، وَيُشارِكَها لَـحظَةَ استِمْتاعِها بِوُصولِـها إلـى الـحَقيقَةِ. حَـرَّكَ مَقبَضًا مَعدِنيًّا لِتَنفَجِـرَ مِـن حَولِـها نَوافيـرُ الرَّمْـلِ. لَـم تَفْـزَعْ بَحْـرُ، وَلَـم تَتَوَقَّـفْ لَـحظَةً... ظَلَّـتْ تَسيـرُ فـي ثِقَـةٍ لِلأَمـامِ تِـجاهَ قَبيلَتِهـا، تِـجاهَ البَشَـرِ، وَتِـجاهَ شُروقِ الغَدِ.

***


يَتْبَعْ...